٢٢٢٥
٢٧١٨٧

جامعـــــة عين شمس
كليـــــــة الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها
(شعبة الأدب)

التقابل والتماثل في القرآن الكريم

رسالة دكتواره

إعداد
فايز عارف سليمان القرعان

٨٨١٢ رقم القيد

بإشراف
الدكتور محمد عبد المطلب

٤١٥
ف ع

القاهرة
١٤١١هـ -١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روحك الطاهرة يا أمي
إلى والدي الذي تعلمت منه الصبر والجد في العمل
إلى رفيقة الدرب زوجتي العزيزة... وطفلي الحبيبين عدي ودانه
إلى أختي الكريمة
إليكم جميعاً يا من هيأتم لي كل شيء حتى أخرج هذا العمل
إهداء محبة وعرفان ووفاء.

فايز القرعان

المحتويات

	رقم الصفحة
المقدمة:	١
الفصل الأول: مفهوم التقابل والتماثل	٦
التقابل والتماثل عند اللغويين والنحاة المتقدمين	٧
التقابل عند الفلاسفة	٢٣
مفهوم التضاد عند أصحاب الدراسات البلاغية	٣٣
التقابل والتماثل عند أصحاب الدراسات البلاغية	٣٥
الفصل الثاني: أنماط التقابل والتماثل في القرآن الكريم	٣٨
النمط البسيط	٨٩
أولا: تقابل التضاد اللفظي	٩٠
ثانيا: التقابل المعنوي	١٠٥
ثالثا: تقابل التخالف	١٢٤
رابعا: التماثل	١٢٩
النمط المركب	١٣٣
أولا: تقابل التضاد المعنوي	١٣٤
ثانيا: التماثل	١٤٥
النمط المعقد	١٥٣
الفصل الثالث: التقابل والتماثل في محاور القرآن الكريم	١٩١
أولا: محور الإيمان	١٩٢
ثانيا: محور الكفر	٢٤٢
تقابلات بين محور الإيمان والكفر	٢٨٢
ثالثا: محور النفاق	٢٨٦
تقابلات بين محوري الإيمان والنفاق	٢٩٣

الفصل الرابع:دور التقابل والتماثل في إنتاج الدلالة ٣٠٦
التقابل ٣٠٩
التخالف ٣٥٣
التماثل ٣٧٧

الخاتمة ٣٨٤
المصادر والمراجع ٣٩٢

المقدمة

تعددت الدراسات البديعية في المصادر العربية وتنوعت طرق البحث فيها، ولكن أغلبها ظل محصورا في الطابع المدرسي الذي يتمثل في تعداد المفاهيم والمصطلحات البلاغية أو البديعية وشرحها والتمثيل عليها من القرآن الكريم والشعر والنثر. وقد بالغ العلماء في تقسيم البديع وتفريعه وإحصاء أنواعه. وكانت النظرة إليه أنه مجرد محسنات لفظية أو معنوية تأتي لمناسبة لفظية مرغوبة أو لحلية حسية مطلوبة لا علاقة لها ولا مكانة لها على مستوى المعنى أو السياق.

وإزاء تلك الطرق في البحث والدرس رأيت أن أحاول دراسة التقابل والتماثل في صورة جديدة في القرآن الكريم على غير ما قدمه الدارسون عن هذا الكتاب العظيم.

إن دراستي للتقابل والتماثل في القرآن الكريم نابعة من إيماني بأهمية هذا الموضوع في الدراسات، وذلك من جانبين: الأول إن القرآن الكريم من المصادر المهمة التي تشكل حقلا مناسبا للكشف عن الإعجاز القرآني من الجانب البديعي فيه وهي دراسة تقوم على خدمة هذا الكتاب الشريف.

والثاني أن تناولي للتقابل لا يقوم على حصر التقابلات والتماثلات وبيان أنماطها الشكلية وإنما تقوم على الكشف عن علاقاتها التجاورية الخاصة والعامة في السياق. وذلك لإظهار قيمها الجمالية والتعبيرية وإظهار مدى إسهامها في تشكيل المعنى ضمن الصياغة الكلية للجملة والنص. ولم تكن الدراسات البديعية في القرآن الكريم قد أخذت هذه الجوانب في الكشف عن حقيقة الموضوع وعن دوره في إنتاج الدلالة.

لقد قرأت القرآن الكريم قراءات متعددة قبل أن أسجل هذه الدراسة، وتابعت فيه موضوع التقابل والتماثل على وجه الخصوص فوجدت أنه يشكل دراسة متكاملة يمكن أن تقدم لنيل درجة الدكتوراه، ولهذا وجدتني اهتم بهذا الجانب اهتماماً كبيراً

أوصلني إلى نقطة الاقتناع بضرورة دراسته دراسة علمية تقوم على تبني وجهة نظر جديدة مستمدة أصولها من الدراسات الأسلوبية والبلاغية. وبعد هذه النظرة التحليلية للقرآن الكريم، وبعد أن أحطت بموضوع التقابل والتماثل معرفة عند اللغويين والبلاغيين، وألممت بأهم جوانبه شرعت أضع خطة تتناسب معه، وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول متكاملة تشكل الهيكل العام للموضوع.

حددت في الفصل الأول مفهوم التقابل والتماثل، وقد جاء هذا الفصل في أربعة نقاط هي: الأولى المعنى اللغوي للتقابل والتماثل في المعاجم، إذ إن هذا المعنى يشكل طريقاً لفهم التقابل والتماثل اصطلاحياً. والثانية مفهومهما الاصطلاحي عند اللغويين والنحاة المتقدمين. والثالثة مفهوم التقابل عند الفلاسفة من فترة متقدمة إلى فترة متأخرة، وذلك لأنهم يشكلون في وجهات نظرهم رافداً من روافد أصحاب الدراسات البلاغية. والرابعة مفهومهما عند أصحاب الدراسات البلاغية المتقدمين والمتأخرين.

وقد تتبعت أهم الآراء التي تكشف عن حقيقة المفهوم متجاوزاً بعض الآراء التي لا تشكل إضافة جديدة لآراء سابقة من البلاغيين إلى أن استقر هذا المفهوم، واتضحت معالمه، وحاولت هنا أن أحلل الطبيعة التركيبية التي اعتمدها هؤلاء البلاغيون في نظرتهم للتقابل والتماثل متخذاً وجهة النظر الخاصة طريقاً لي في فهم ما أرادوه من الموضوع. ومن ثم ارتأيت مفهوماً خاصاً للموضوع مستمداً من مفهوم البلاغيين.

وتناولت في الفصل الثاني أنماط التقابل والتماثل في القرآن الكريم، وقسمتها حسب مفهومي لها فكانت ثلاثة أنماط هي: النمط البسيط، والنمط المركب، والنمط المعقد، وقد تحدثت في هذا الفصل عن الطبيعة التركيبية للتقابلات والتماثلات في كل نمط، كما تناولت الأبنية الأسلوبية التي تشكلت فيها، وتتبعت في كل نمط التقابلات والتماثلات إحصائياً لعلي أجد التفسيرات والنتائج المترتبة على أعدادها ونسبها.

وتناولت في الفصل الثالث التقابل والتماثل في محاور القرآن الكريم، وقد قسمت هذه المحاور ثلاثة كانت محور الإيمان وقد تناولت فيه عدداً من المواضيع هي: العقيدة، والمعاملات، والعبادات، والآداب، والأخلاق، والمؤمنون والإيمان. ومن ثم رصدت لهذا المحور معجماً لفظياً لأبين فيه الألفاظ وانتماءاتها إلى معاني هذا المحور، والمحور الثاني هو محور الكفر وقد تناولت فيه عناصر الكفر، ووسائل دعوة الكفار إلى الإيمان، والكفار والكفر، وقد رصدت له معجماً لفظياً بينت فيه الألفاظ وانتماءاتها

إلى المعاني الواردة في هذا المحور. والمحور الثالث هو محور النفاق، وقد تحدثت فيه عن المنافقين والعقيدة، والمنافقين ومواقفهم من المؤمنين، والمنافقين وموقفهم من الجهاد في سبيل الله، وحال المنافقين في الحياة الدنيا، والمنافقين والعذاب، والمنافقين بين الترغيب والترهيب. ومن ثم رصدت الألفاظ التي تنتمي إلى هذا المحور في تقابلاته وتماثلاته.

وقد اعتمدت العملية الإحصائية في هذا الفصل لجميع المحاور وفروعها ومعاجمها اللفظية لتكون كاشفة لنقاط جوهرية توصلنا إلى حقيقة التقابل والتماثل في هذه المحاور. ومن ثم وضعت معجماً إحصائياً لألفاظ التقابل والتماثل يعتمد على تقسيم القرآن الكريم إلى السور المكية والسور المدنية وتتبعت في هذين القسمين الألفاظ المشتركة، وتحدثت عن إسهامها في كشف حركة المعنى. ونظرت نظرة كلية إلى كل لفظة وما يقابلها من الألفاظ الأخرى في تقابلات القرآن الكريم وتماثلاته.

وعالجت في الفصل الرابع الدور الذي يقوم به التقابل والتماثل في إنتاج الدلالة في النص القرآني. وقد تناولت في هذا الفصل الدلالات من جانبين: الجانب الأول الدلالة الموضعية التي يثيرها التقابل والتماثل في طرفيهما ومدى انتشار هذه الدلالة في السياق. والجانب الثاني الدلالة السياقية التي تنتجها البنية النحوية وتعكسها بالتالي على التقابل والتماثل وقد قسمت هذا الفصل إلى التقابل والتخالف والتماثل.

ووضعت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة وألحقت بالرسالة قائمة بالمصادر والمراجع مرتبة حسب الحروف الهجائية.

إن الاهتمام بالتقابل والتماثل في القرآن الكريم اهتمام قديم، ولعل المطلع على الدراسات البلاغية على مر العصور يدرك أن مجال التطبيقات والشواهد البلاغية محورها آيات الكتاب العظيم علاوة على الشعر والنثر العربيين. وقد خُصِّصَتْ كتب تعالج مثل هذه القضايا في القرآن الكريم في بعض فصولها أو كلها مثل: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، وإعجاز القرآن للباقلاني، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي.

ومن ثم نجد دراسات حديثة تناولت بعض المواضيع البلاغية في القرآن الكريم، مثل: الصورة الفنية في المثل القرآني، للدكتور محمد حسين علي الصغير، والبديع

في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لاشين، ولطائف المعاني في ضوء النظم القرآني، للدكتور عبدالله محمد سليمان هنداوي، ودراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، للدكتور المحمدي عبد العزيز الحناوي.

ولا شك بأن هذه الدراسات وغيرها قد أسهمت في البحث عن كثير من الجوانب البلاغية التي تتعلق بالإعجاز القرآني، والواقع أنني أفدت بالاطلاع عليها، ولكنني حاولت أن تكون لي آرائي الخاصة المستقلة، إذ تناولت موضوع التقابل والتماثل من منطلق آخر غير منطلقات أصحاب تلك الدراسات. وقد أخذت في هذا التناول من كثير من المصادر والمعاجم التي لجأت إليها في مناقشاتي لمفهوم التقابل والتماثل، فحددت المفهوم الذي أسير عليه في البحث في إطاره العام، من مثل: الطراز، للعلوي، والمثل السائر، لضياء الدين بن الأثير، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي، وجوهر الكنز، لنجم الدين بن الأثير.

لعلني أزعم أنني نظرت إلى موضوع الدراسة نظرة تختلف عن نظرة أصحاب الدراسات السابقة التي تناولت التقابل والتماثل في القرآن الكريم. وذلك أنني جعلت اهتمامي لهما من خلال العلاقات البنائية بين الأطراف نفسها من جهة، وبين الأطراف والسياق من جهة أخرى. فجاءت نظرة تكاملية، إذ بدأت من دراسة الأنماط السائدة للتقابل والتماثل في القرآن إلى دراسة تحركها داخل الموضوعات القرآنية، ومن ثم رصدت حركة المعنى لهما في هذا الإطار، ومن ثم إلى علاقاتهما الخاصة بين أطرافهما وبين السياق، لأصل في النهاية إلى الدور الدلالي الذي أخذته في النص القرآني.

إن ثمة دراستين نقديتين كان لهما الفضل الكبير في بناء منهجي. الأولى دراسة للدكتور محمد عبد المطلب "بناء الأسلوب في شعر الحداثة (والتكوين البديعي)" والثانية دراسة للدكتور صلاح فضل "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته".

أما الدراسة الأولى، فهي من الدراسات القيمة التي تشكل منهجاً جديداً في طرح موضوع التقابل والتماثل في دراسة الشعر من خلال النص الشعري، وقد استأنست في غير موضع من فصول دراستي بخطى هذه الدراسة التي التقيت فيها بكثير من آرائها الصائبة.

وأما دراسة الدكتور صلاح فضل، فهي من الدراسات المهمة أيضاً في علم الأسلوب، وأخص بالاهتمام ما يتعلق بموقع التضاد في السياق ومدى ترابط الاثنين معاً.

وقد كان لهاتين الدراستين فضل في تطوير مفهومي للتقابل والتماثل، ومدى إسهامهما في الترابط بالسياق وفي إنتاج الدلالة فوصلت من خلالهما إلى نتائج جوهرية في النص القرآني.

وبعد:

فقد كان لإشراف أستاذي الدكتور محمد عبد المطلب أثر عميق في تقويم منهجي الدراسي الذي خططته لنفسي في تناول هذا الموضوع، وقد وجدت في توجيهاته المستمرة طوال مدة الإشراف على هذه الرسالة أراء عميقة كانت تفتح ما يستغلق علي فهمه. وقد راجعت كثيراً من الآراء والاقتراحات التي تفضل بها فأخذت ما ارتضيته بقناعة حسبت أنها تفيدني في تطوير فهمي للتقابل والتماثل وفي تعميق البحث في القرآن العظيم، لذا فإن كلمة شكر لا تكفي بحق استاذي على ما قدمه لي في هذه الرسالة وعلى صبره في القراءة الدقيقة الفاحصة لما كنت أقدمه له من فصولها. إن ما تركه في نفسي من الحرص العلمي والتوجه الجاد في البحث، وما تركه من فكر عميق لدي لهو أكبر من كلمة الشكر، فإني أدعو الله عز وجل أن يجزيه عني وعن العلم كل الخير.

وفي الختام أمل أن أكون قد قدمت في هذه الدراسة ما يكشف عن جوانب كثيرة من التقابل والتماثل في القرآن الكريم، وإن لم أكن قد فعلت ذلك فحسبي أنني حاولت.

والله من وراء القصد

فايز عارف القرعان

الفصل الأول

مفهوم التقابل والتماثل

التقابل والتماثل عند اللغويين والنحاة المتقدمين:

قبل أن أتحدث عن التقابل والتماثل عند أصحاب الدراسات البلاغية لا بد لي أن أتحدث عنهما عند اللغويين في معاجمهم وعند النحويين المتقدمين، وذلك من جهتي المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فأبدأ بالمعنى اللغوي.

التقابل اسم أخذ من الأصل الثلاثي (ق ب ل) وقد تنوعت المعاني التي اشتقت من هذا الأصل. يقول الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ): "والقِبَل: الطاقة، تقول: لا قِبَل لهم. وفي معنى آخر هو التلقاء، تقول: لقيته قِبَلاً أي مواجهة"[١]، ويقول البطليوسي (ت ٥٢١هـ): "والقِبَل بالكسر: الطاقة، والقِبَل: المواجهة"[٢]. نفهم مما تقدم أن المعنى من هذا الأصل مرتكز على معنى الطاقة المقابلة لطاقة أخرى، وذلك من خلال معنى المواجهة، فلعل الخليل يشير في قوله (لقيته قبلا أي مواجهة) إلى التقاء طاقتين متواجهتين. ولا يخرج البطليوسي عن هذا المعنى، كما نرى. ولا ينتهي المعنى إلى هذا الحد عند اللغويين، وإنما يمتد إلى غيره ليصبح بمعنى المواجهة بشكل عام، يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدلّ كلمة كلّها على مواجهة الشيء للشيء"[٣]، ويقول ابن سيدة (ت ٤٥٨هـ): "وقابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالا: عارضه...وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضاً"[٤]. فليست المقابلة عند ابن فارس وابن سيدة مقتصرة على الطاقة المواجهة، وإنما هي مواجهة عامة فكل شيء يواجه شيئا آخر فهو يقابله

١- كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر-بغداد ١٩٨٢م ج٥ ص١٦٦.

٢- المثلث، تحقيق: صلاح مهدي علي الفرطوسي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ج٢ص٣٩٢.

٣- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م، مادة (ق ب ل).

٤- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: مراد كامل . شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر ط٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م. ج٦ ص٢٦٣.

ويعارضه، ويزيد الليث على هذا المعنى في قوله: "إذا ضممت شيئا إلى شيء قلت قابلته به" [1] . فضم الشيء إلى الشيء مقابل له. والمقابلة والتقابل في اللغة واحد، يقول الجوهري (ت ٣٩٣هـ): "المقابلة: المواجهة والتقابل مثله"[٢]. ويقول ابن منظور (ت ٧١١هـ): "المقابلة: المواجهة، والتقابل مثله. وهو قبالك وقُبالتك أي تجاهك"[٣].

نفهم مما تقدم أن معنى التقابل في اللغة المواجهة التي تتم بين شيئين يكون الأول منهما يواجه الثاني ويتقابل معه، سواء أكان تقابل طاقتين أم قوتين وغير ذلك من المتقابلات التي تتم بين الشيئين، ويعني أيضا ضم الشيء إلى شيء آخر أي قابله.

لا شك بأن معنى التقابل هنا يتيح لنا أن نضع تحته عددا من المفردات اللغوية التي تشير في معناها إلى المواجهة وهي بالتحديد: المطابقة، والتكافؤ، والتضاد، والتناقض، والمخالفة وذلك لأن هذه المفردات تتضمن معنى المقابلة بين طرفي التقابل سواءاً بالتضاد او المخالفة أو المماثلة، كما سنعرفه من معناها اللغوي.

أما المطابقة فقد أخذت من الأصل (ط ب ق) وقد أورد أصحاب المعاجم اللغوية لها معنيين مهمين؛ الأول منهما يشير إلى التقابل بالمثل، يقول الخليل بن أحمد: "وطابقت بين الشيئين: جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما فيسمى هذا المطابق" [٤]. ويقول ابن فارس: "وطابق بين الشيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد. ولذلك سمينا نحن ما تضاعف من الكلام مرتين مطابقا. وذلك مثل جرجر، وصلصل، وصعصع"[٥] . ويقول ابن سيدة: "وتطابق الشيئان: تساويا" [٦] . ويقول الجوهري: "والمطابقة الموافقة، والتطابق: الاتفاق"[٧]. ويقول ابن منظور: " هذا الشيء وفق هذا ووفاقه وطباقه وطابقه وطبقه وطبيقه ومطبقه وقالَبُه وقالِبُه بمعنى واحد" [٨].

١- لسان العرب، ابن منظور . دار صادر، بيروت-لبنان دون تاريخ مادة (ق ب ل).
٢- الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، الشركة اللبنانية للموسوعات العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م. مادة (ق ب ل).
٣- لسان العرب، مادة (ق ب ل).
٤- كتاب العين: جـ٥ ص١٠٩.
٥- معجم مقاييس اللغة، مادة (ط ب ق).
٦- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: جـ٦ ص١٨٧.
٧- الصحاح، مادة (ط ب ق).
٨- لسان العرب، مادة (ط ب ق).

نلاحظ مما تقدم من النصوص أن المطابقة تعني تقابل الشيئين على وجه الاتفاق والموافقة، وذلك أن المثل يقابل المثل ويساويه. فإذا جمعت بين شيئين، يكونان على حذو واحد، حتى إن ابن فارس ذهب إلى استخدام هذا المعنى عندما جعل الأفعال الرباعية مثل جرجر وصلصل وصعصع من المطابق فكل حرف من الحرفين الأولين من كل فعل يقابل الحرف في الحرفين الأخيرين.

والمعنى الثاني للمطابقة هو التقابل بالخلاف، وفهم هذا المعنى متأت من التدقيق في النصوص التي ننقلها من أصحاب اللغة، يقول ابن سيدة: " والمطابق من الخيل والإبل: الذي يضع رجله موضع يده"[١] وقد أشار إلى هذا المعنى الجوهري في قوله: "ومطابقة الفرس في جريه: وضع رجليه مواضع يديه"[٢] ولا شك بأن في هذين النصين معنى الخلاف وذلك أن موضع الرجل عند الإبل أو الخيل لا يتماثل تماما مع مواضع أيديها، فالرجل خلاف لليد من حيث المعنى، وبالتالي فإن الجمع بينهما في موضع واحد هو تقابل بالخلاف وليس بالمثل. وثمة نصوص أخرى تشير إلى هذا المعنى، يقول الخليل: "والمطابقة في المشي كمشي المقيد، قال عدي: وطابق في الجملين مشي المقيّد"[٣]. ويقول ابن فارس: "فأما المطابقة فمشي المقيد، وذلك أن رجليه تقعان متقاربتين كأنهما متطابقتين"[٤] . ويقول ابن منظور: "والمطابقة المشي في القيد وهو الرّسف"[٥]. ويقول الأصمعي: "التطبيق أن يثب البعير فتقع قوائمه بالأرض معاً"[٦]، لعلنا نلاحظ من معنى "مشي المقيد" هو أن اليدين تتماثلان في التنقل من مكان إلى مكان أثناء مشي الحيوان، وهذا المعنى يشير إلى التقابل بالمثل، ولكن ثمة معنى آخر يشير إلى التقابل بالخلاف يفهم من المعنى الملازم للمشي المقيد وهو أن المشي المقيد خلاف للمشي الحر الذي تعتاد الحيوان عليه، ومن هنا جاء معنى المخالفة، فهذا المعنى ليس كالسابق وذلك بظهور المتقابلين، وإنما جاء بحذف الأول وإيراد الثاني.

١- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: جـ٦ص١٧٩.
٢- الصحاح، مادة (ط ب ق).
٣- كتاب العين: جـ٥ ص١٠٩.
٤- معجم مقاييس اللغة، مادة (ط ب ق). كذا وردت كلمة (متطابقتين).
٥- لسان العرب، مادة (ط ب ق).
٦- المصدر السابق، مادة (ط ب ق).